مُقدِّمة بحث

الوَاجِبَات المُهِمَّة
مِمَّا لا يَسَعُ لِمُسلِم جَهلُهُ مِن عَـــامَّة الأُمَّة

الحمد لله الذي ابتعثنا من بين سائر العبيد لنحمل راية التوحيد والصلاة والسلام على خير الخلق صاحب الرأي الرشيد والمنهج السديد وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسان مزيد أما بعد:

اعلموا رحمكم الله جل في علاه أن من فضل الله علينا أهل الثغور أنه عز وجل منَّ علينا بأن هدانا إلى هذا السبيل واختارنا للصدع بالتوحيد وتعبيد العباد لرب العباد وإنقاذهم من وحل الكفر والفجور والعناد، ثم سياسة البلاد والعباد بالشرع الحنيف كما كان الأنبياء يسوسون أقوامهم من المؤمنين.

روى الطبري في تاريخ الرسل والملوك: قال ربعيّ بن عامر رضي الله عنه لرستم قائد الفرس لما سأله ما جاء بكم؟ فقال: (الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدّنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه حتّى نفيء إلى موعود الله..)

ولذلك وجب علينا بذل الغالي والنفيس لكي يسود هذه المعمورة حكم الله بالقسط والعدل الذي هو حائط الإسلام المنيع، خطب سعيد بن سويد بحمص، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (أيها الناس إن للإسلام حائطاً منيعا وبابا وثيقاً، فحائط الإسلام الحق وبابه العدل. ولا يزال الإسلام منيعاً ما اشتد السلطان. وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضرباً بالسوط، ولكن قضاء بالحق وأخذاً بالعدل)

قال الله تعالى: {وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [المائدة: 42].

وعَنْ عَبْدالله بْنِ عَمْرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ المُقْسِطِينَ عِنْد الله على مَنَابرَ مِنْ نُور، عَنْ يَمِين الرَّحْمَنِ عَزّ وَجَلّ، وَكِلتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا» [أخرجه مسلم].

وإن الله عز وجل لما منّ علينا بأن هدانا للإسلام خاتم الشرائع وأفضلها، وأرسل إلينا أفضل رسله وخاتمهم، وأنزل علينا أكمل كتبه وأشرفها، جعل الاستسلام والانقياد لشرعه والطاعة له، هي مناط القبول عنده والرضا، ولذا فمن لم يستسلم له، وينقد إليه بالطاعة، ويتخلص من الشرك، فليس بمسلم.

ومعلوم أن تعظيم الله جل في علاه وتمجيده مستلزم لتعظيم أحكامه، ونصوص شرعه من القرآن والسنة، ولهذا التعظيم دلالات وعلامات من افتقدها، فهو على خطر عظيم، فمن علامات تعظيم حكم الله وشرعه المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم:

أولاً: عدم الاختيار أو المشورة في قبول حكم الله تعالى، بل التسليم الكامل المطلق دون تردد، أو شك قال تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا) [الأحزاب: 36].

ثانيا: عدم وجود الحرج عند سماع النص الشرعي، ويتأكد هذا عند تطبيقه، قال تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا) [النساء: 65]. وهذا يدل على وجوب الانقياد لحكم الله ظاهراً وباطناً، برحابة صدر، وطمأنينة نفس.

ثالثاً: عدم التنطع في البحث عن الحكمة، أو العلم والتعمق في ذلك، فتلك الصفة تنافي كمال التسليم والانقياد لله، بل قد يستمرئ صاحبها ذلك فتجره إلى الاعتراض على بعض الأحكام الشرعية، إلا حين يعلم الحكمة منها، فالواجب على المسلم الإمساك والتأدب مع مقام التشريع، قال تعالى: (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) [الأنبياء: 23].

رابعاً: الغضب لله تعالى إذا انتهكت محارمه، ومحاولة التغيير ما استطاع المرء إلى ذلك سبيلا. جاء عند البخاري رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما خير رسول الله بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها". فمتى كان العبد غيوراً على محارم الله مسارعاً إلى إنكارها، وإصلاح أهلها كان ذلك دليلا على تعظيمه للنصوص الشرعية، ومراعاة حدودها وآدابها.

خامساً: أن يمسك أحدنا عما ليس له به علم، وأن يحذر من الخوض في ذلك، وأن يجعل نصب عينيه قوله تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا) [الإسراء: 36].

فالخوض في معاني كلام الله وكلام رسوله دون دراية أو سؤال، من القول على الله بغير علم، وهذا من الذنب العظيم، فضلاً عما يجره من المفاسد، من ضلال الآخرين وإضلالهم.

سادساً: إجلال واحترام ورثة الأنبياء من أهل العلم حملة الدين من القضاة والمفتين الذين بتوقيرهم تحفظ الشريعة وتنشر أحكامها ويكثر سواد أهل السنة وتجتمع الأمة وتأتلف كلمة المسلمين وتذهب شوكة أهل الفجور ويأتمر العامة بكلمة العلماء ويفيء المسلمون لدينهم عند نزول الفتن والأمور المدلهمة.

فإن للعلم والعلماء مكانة في الدين لا تنكر، وفضل كبير لا يكاد يحصر، فقد جاءت نصوص الشرع متوافرة متعاضدة تعزز من مكانتهم، وتبين فضلهم، فهم من شهود الله على أعظم مشهود به وهو توحيد الله كما قال الله تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران:18].

وأوجب طاعتهم فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ} [النساء:59]، وأولو الأمر كما قال بعض السلف: هم العلماء، وقال بعض المفسرين: أولوا الأمر الأمراء والعلماء.

وورد في السنة عن مكانة العلماء الكثير من النصوص المذكرة بفضل العلماء، وعلو درجتهم، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علمًا سَهَّل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له مَنْ في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتانُ في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثةُ الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر» [رواه أبو داود والترمذي].

ولما كان أهل العلم بهذه المنزلة فقد جاء الشرع بتكريمهم والحض على توقيرهم، فعن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه» [رواه أحمد والترمذي].

قال ابن المبارك رحمه الله: "مَن استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومَن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته"

وإنها لتذكرة نذكر بها أنفسنا أولا ثم إخواننا أن الطائفة المنصورة مؤيدة بنصر الله لا يضرها من خذلها ولا من خالفها ما اعتصمت بالكتاب والسنة وعظمت شرع الله وحملته وقدمت حكم الله ولو كان ثقيلا على النفوس أو مخالفا لهواها وما تحسبه إصابة وجه المنطق والعقل فإن الفوز والفلاح بتطبيق الشرع الحنيف.

والله من وراء القصد وهو يهدي إلى صراط مستقيم.

-ناصر السنة القرشي- تقبله الله